@ 225 @ نعمة ا عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا ا وعلى ا فليتوكل المؤمنون) ^ يذكر تعالى عباده المؤمنين ، بنعمه العظيمة ، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان . وأنهم كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم ، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة فليعدوا أيضا ، إنعامه عليهم ، بكف أيديهم عنهم ، ورد كيدهم في نحورهم ، نعمة . فإن الأعداء ، قد هموا بأمر ، وظنوا أنهم قادرون عليه . فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم ، فهو نصر من ا ، لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا ا على ذلك ، ويعبدوه ويذكروه . وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر ، من كافر ، ومنافق ، وباغ ، كف ا شره عن المسلمين ، فإنه داخل في هذه الآية . ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم ، وعلى جميع أمورهم فقال : ^ (وعلى ا فليتوكل المؤمنون) ^ أي : يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية ، ويتبرأوا من حولهم وقوتهم ، ويثقوا با تعالى ، في حصول ما يحبون . وعلى حسب إيمان العبد ، يكون توكله ، وهو من واجبات القلب المتفق عليها . ^ (ولقد أخذ ا ميثاق بني إسرآئيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال ا إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم ا قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل * فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خآئنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن ا يحب المحسنين) ^ يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد . وذكر صفة الميثاق وأجرهم ، إن قاموا به ، وإثمهم ، إن لم يقوموا به . ثم ذكر أنهم ما قاموا به ، وذكر ما عاقبهم به فقال : ^ (ولقد أخذ ا ميثاق بني إسرائيل) ^ أي : عهدهم المؤكد الغليظ . ^ (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) ^ أي : رئيسا وعريفا على ما تحته ، ليكون ناظرا عليهم ، حاثا لهم على القيام بما أمروا به ، مطالبا يدعوهم . ^ (وقال ا) ^ للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا : ^ (إني معكم) ^ أي : بالعون والنصر ، فإن المعونة ، بقدر المؤنة . ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال : ^ (لئن أقمتم الصلاة) ^ ظاهرا ، وباطنا ، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها ، والمداومة على ذلك . ^ (وآتيتم الزكاة) ^ لمستحقيها ^ (وآمنتم برسلي) ^ جميعهم ، الذين أفضلهم وأكملهم ، محمد صلى ا عليه وسلم . ^ (وعزرتموهم) ^ أي : عظمتموهم ، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام والطاعة . ^ (وأقرضتم ا قرضا حسنا) ^ وهو الصدقة والإحسان ، الصادر عن الصدق

والإخلاص ، وطيب المكسب . فإذا قمتم بذلك ^ (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار) ^ . فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم ، واندفاع المكروه بتكفير السيئات ، ودفع ما يترتب عليها من العقوبات . ^ (فمن كفر بعد ذلك) ^ العهد والميثاق المؤكد بالإيمان ، والالتزامات المقرون بالترغيب بذكر ثوابه . ^ (فقد ضل سواء السبيل) ^ أي : عن عمد وعلم ، فيستحق ما يستحقه الضالون ، من حرمان الثواب ، وحصول العقاب . فكأنه قيل : ليت شعري ، ماذا فعلوا ؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه ، أم نكثوا ؟ فبين أنهم نقضوا ذلك فقال : ^ (فبما نقضهم ميثاقهم) ^ أي : بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات : الأولى : أن ^ (لعناهم) ^ أي : طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا ، حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة ، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم ، الذي هو سببها الأعظم . الثانية : قوله : ^ (وجعلنا قلوبهم قاسية) ^ أي : غليظة لا تجدي فيها المواعظ ، ولا تنفعها الآيات والنذر ، فلا يرغبهم تشويق . ولا يزعجهم تخويف . وهذا من أعظم العقوبات على العبد ، أن يكون قلبه بهذه الصفة ، التي لا يفيده معها ، الهدى ، والخير إلا شرا . الثالثة : أنهم ^ (يحرفون الكلم عن مواضعه) ^ أي : ابتلوا بالتغيير والتبديل ، فيجعلون الكلام الذي أراد الله له معنى ، غير ما أراد الله ، ولا رسوله . الرابعة : أنهم ^ (نسوا حظا مما ذكروا به) ^ . فإنهم ذكروا بالتوراة ، وبما أنزل الله على موسى ، فنسوا حظا منه . وهذا شامل ، لنسيان علمه ، وأنهم نسوه ، وضاع عنهم ، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه ، عقوبة منه لهم . وشامل لنسيان العمل ، الذي هو الترك ، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به . ويستدل بهذا على أهل الكتاب ، بإنكارهم بعض الذي قد ذكر في كتابهم ، أو وقع في زمانهم ، أنه مما نسوه . الخامسة : الخيانة المستمرة التي ^ (لا تزال تطلع على خائنة منهم) ^ أي : خيانتهم لله ، ولعباده المؤمنين . ومن أعظم الخيانة منهم ، كتمهم الحق ، عن من يعظهم ، ويحسن فيهم الظن ، وإبقاؤهم على كفرهم ، فهذه خيانة عظيمة . وهذه الخصال الذميمة ، حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم . فكل من لم يقم بما أمر الله به ، وأخذ به عليه الالتزام ، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب ، والابتلاء بتحريف الكلم ، وأنه لا يوفق للصواب ونسيان حظ مما ذكر به . وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة . نسأل الله العافية . وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظا ، لأنه هو أعظم الحظوظ ، وما عداه فإنما هي حظوظ دنيوية . كما قال تعالى : ^ (فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما